

المحور الرابع الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء

أولاً: انتشار الإسلام:

يذكر المؤرخ الفرنسي (قيلي *Guilly*)، أنه بانتشار الإسلام يبدأ العصر التاريخي لإفريقيا السوداء. والمقصود هنا بالعصر التاريخي هو بداية الحضارة، أي بروز الخصائص الحضارية لإفريقيا الإسلامية.

إن هذا التعبير يعطي للإسلام دور عظيم في تاريخ السودان بصفة عامة، والسودان الغربي بصفة خاصة. حيث كان يمثل أهم عامل ربطه بالعالم الإسلامي، وقربه من المغرب الإسلامي.

لقد بدأ انتشار الإسلام منذ وقت مبكر في شمال السودان، و بدأ يتسرب إلى الداخل باتجاه الجنوب تدريجياً، و ببطء شديد، بسبب عدة عوامل مناخية و جغرافية ارتبطت بظروف الصحراء الكبرى القاسية، و التي تفصل السودان الغربي عن بلاد المغرب الإسلامي. كما أن الاتصال بالمناطق الداخلية للسودان ظل ضعيفاً، بسبب تشتت القبائل التي كانت تعيش على شكل مجتمعات قليلة العدد، و متفرقة عن بعضها البعض، و التي صعبت الاتصال بهم. كما أن وجود تلك الغابات الكثيفة في أقصى الجنوب شكل حاجزاً آخر أمام الاتصال بالقبائل السودانية.

وهناك عامل آخر صعب من انتشار الإسلام في المنطقة، ألا و هو التركيبة القبلية لتلك المجتمعات، التي تعد أكثر تمسكاً بتقاليدها الأسرية والدينية، و التي تعد أساس تسيير شؤونها. بالإضافة إلى نمط الحياة البدائية الذي ميزهم، والذي أعاق اندماجهم في الحياة الإسلامية ذات الطابع الحضاري الراقى.

بينما شمال السودان (والذي تمثله شواطئ الصحراء الكبرى)، و خاصة الغربية منها، فإن شعوبها من البدو الرحل وجدوا في الإسلام خير بديل عن حياتهم البسيطة والمنتقلة. إذ كانوا أكثر قابلية للاندماج في هذا الدين الجديد، و كانوا يرون في دعوة الإسلام إلى التجارة بين الشعوب نوعاً من التحضر، والانتقال من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار والتطور. فتعاليم الإسلام كانت بالنسبة إليهم تتطابق مع الحياة المثالية التي كانوا يحلمون بها، خاصة طبقة التجار منهم.

1- دور التجارة في نشر الإسلام :

إن عظمة الإسلام تكمن في تعاليمه السمحة، التي تدعو إلى مكارم الأخلاق والمعاملة الحسنة و تهذيب خلق الإنسان. وهي الأخلاق التي اكتشفها أهل السودان في التجار المسلمين، الذين كانوا يمثلون سفراء حقيقيين للدين الإسلامي، حيث لعبوا دوراً عظيماً في إعطاء صورة جيدة عن الإسلام و مبادئه التي وجدها سكان السودان مبادئ بسيطة، غير

معقدة، من خلال عقيدة عبادة الله الخالق الواحد، الذي لا يحتاج إلى واسطة بينه وبين العبد. كما أن أغلب هؤلاء التجار ينحدرون من أسر طيبة ومشهورة بتدينها، وكان الإسلام يمثل بالنسبة إليهم جواز سفر لهم و لتجارتهم.

صحيح أن التجارة ربطت السودان بشمال إفريقيا حتى قبل وصول الإسلام إلى المنطقة، إذ تعود إلى 500 سنة قبل الميلاد، و ربما قبل ذلك، عن طريق البربر القدامى الذين كانوا يتوغلون عبر الصحراء بواسطة العربات والأحصنة إلى غاية إفريقيا الاستوائية. كما كان القرطاجيون يحملون سلعتهم إلى غاية السواحل الغربية لإفريقيا السوداء، أين كانت سجالمة من أقدم المحطات التجارية. لكن أعظم فترة لانتشار وازدهار التجارة في المنطقة تزامن مع دخول الإسلام، حيث أصبحت تحمل معها مظاهر النبل و السلم و الرفاهية، عن طريق أخلاقيات التعامل التجاري التي ميزت التجار المسلمين عن سابقهم.

إن المسلمين القادمين من شمال إفريقيا نحو شواطئ الصحراء عبر القوافل التجارية، طوروا الحركة التجارية للسودان، حيث أصبحت عدة عائلات كبيرة تشتغل بتصدير الذهب. وهو ما جعل هذا النشاط ينفصل عن الزراعة و الرعي، و يغير من النمط المعيشي لهؤلاء السكان، الذين ارتبطت حياتهم بالمعتقدات الإفريقية. و بفضل هذا التأثير الاقتصادي للتجار المسلمين نشأت جالية مسلمة وسط عدد من المراكز التجارية، وبدأت تتشكل المدن التجارية، و التجمعات الحضرية المستقرة بين القبائل السودانية المنتشرة عبر تلك الطرق التجارية.

لهذا فإننا نقول بأن الوضع الاقتصادي كان له دور كبير في مدى انتشار الإسلام. ذلك أن المدن و التجمعات الكبرى عرفت الإسلام قبل غيرها، حيث دخل الإسلام عن طريق الأفراد (أي التجار)، لكنه اقتصر على أصحاب الأموال و التجار في بداية الأمر، كما شمل أصحاب الأسواق و المحلات التجارية الذين كانوا أكثر اتصالا و احتكاكا بالتجار المسلمين.

ان يطلق على التجار المسلمين أسماء مختلفة من طرف الشعوب السودانية، حيث كانوا يلقبون بـ (ديولا) عند المالنكي (و هم سكان نهر النيجر الأعلى، و من مؤسسي إمبراطورية مالي). و يلقبون بـ (الماركا) عند شعب البامبارا، (وهم سكان جنبي). كما نجدهم في المصادر العربية كابن بطوطة و محمود كعت بـ (الونغارا).

وكان التجار المسلمون ينقلون الإسلام حيث امتدت طرقهم التجارية في بلاد السودان. حيث كان التجار المسلمون يسيطون أنفسهم في السودانية منذ أواخر القرن الأول للهجرة، قادمين من مصر عبر الطريق القديم (عبر صحراء الكفرة). لكن عددهم كان قليلا و تأثيرهم كان ضعيفا، و ما إن حل القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، حتى بدأ يظهر التأثير الحقيقي للمسلمين في المنطقة، لكن هذه المرة عن طريق التجار البربر المغاربة. حيث تشير بعض الروايات السودانية، بأن الإسلام خلال هذه الفترة استقبل من طرف عدة ملوك سودانيين، الذين كانت تربطهم علاقات تجارية جد متطورة مع شمال إفريقيا، خاصة زعماء جاو الذين يعدون من الأوائل الذين دخلوا الإسلام.

وهكذا بدأ الإسلام يتوغل عن طريق الصحراء إلى إفريقيا، بواسطة التجار البربر من البدو الرحل، وتوطن في بلاد السودان، حيث كان أوائل المسلمين الذين عاشوا في المنطقة حوالي القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، هم التجار البربر والعرب، الذين استقروا في الأسواق المشهورة في شواطئ الصحراء الجنوبية، و كانوا يبتاعون العبيد والذهب والعاج، وبعضهم توغل إلى الداخل وتقرّب من الزعماء المحليين المسيطرين على هذه التجارة، و الذين سرعان ما أسلموا، ثم بدأ التجار المسلمون ينشرون الإسلام ويدعون إليه، و تزوجوا بنساء سودانيات، و كونوا أسرا مسلمة.

كما أن هؤلاء التجار، كان فيهم العلماء والفقهاء، الذين تقربوا هم كذلك من ملوك السودان وأمرائهم، وتبوؤوا مكانة مميزة لديهم، مما جعل الشعب بعد ذلك يقلد ملوكه، و يتبعهم في اعتناق الدين الجديد.

وعموما فإن انتشار الإسلام في المنطقة كان سلميا في أغلبه، أي عن طريق التجارة لكنه بقي سطحيا، حيث أن الإيمان الحقيقي لم يتوغل جيدا بعد، كما أن العلوم الإسلامية أخذت تنتشر بوتيرة بطيئة، واقتصرت على المدن دون غيرها من المناطق الريفية، أين بقيت الكثير من الشعوب البدوية وفية لمعتقداتها الوثنية، بل حتى المسلمون منهم لم تكن تربطهم بهذا الدين سوى الشهاداتتان ومظاهر العبادة. و هو ما يعني أن التجار قاموا بدور لا يستهان به في نشر الإسلام، و نقله إلى بلاد السودان، لكن بقي الدور الكبير الذي قامت به الفتوحات الإسلامية.

أ . بداية الفتح الإسلامي :

إن المصادر العربية الخاصة بالفتوحات الإسلامية في منطقة إفريقيا، لا تمدنا إلا بإشارات مقتضبة عن بداية الفتح الإسلامي في بلاد السودان. وكانت أولى حملات الفتح الإسلامي بعد فتح ولاية افريقية تعود إلى عقبة بن نافع الفهري، الذي يكون أقصى ما وصل إليه خلال ولايته الأولى، هي بعض المناطق الصحراوية، حيث فتح ودان (قرب مدينة زويلة)، ومدينة فزان (جنوب طرابلس)، وذلك عام 46 للهجرة /666م، بالإضافة إلى مدينة كوار (الواقعة جنوب فزان). أما في ولايته الثانية، فيكون قد وصل إلى السوس الأقصى، وكان ذلك عام 62هـ/685م.

إن بن عبد الحكم لا يفصل أكثر من هذا، بينما نجد أن البكري يشير إلى أن عقبة بن نافع قد وصل إلى أبعد من ذلك، و أنه بلغ مدينة نفيس، التي تقع في الركن الجنوبي من بلاد السودان بمحاذاة البحر المحيط، حيث يقول : « و من أغمات وريكة إلى مدينة نفيس، وهي تعرف بالبلد النفيس كثيرة الأنهار و الثمار ليس في ذلك القطر موضع أطيب منه، و لا أجمل نظرا، و هي قديمة أولية، غزاها عقبة بن نافع صاحب رسول الله عليه وسلم، و حاصر بها الروم و نصارى البربر، و كانوا قد اجتمعوا بها لحصانتها وسعتها، فلزمهم حتى فتحها، و بنا فيها

مسجدا إلى اليوم و أصابوا فيها غنائم كثيرة، وذلك سنة اثنين وستين، وهي اليوم أهلة عامرة بها جامع و حمام وأسواق جامعة».

و بعد هذه الرواية لم نجد إشارات أخرى عن الفتح الإسلامي في بلاد السودان، مما يجعلنا نعتقد بأن الفتوحات الإسلامية الأولى لم تتجاوز الشواطئ الجنوبية للصحراء، ولم تتوغل إلى بلاد السودان، و هذا ربما يعود إلى مقتل عقبة بن نافع، وانشغال الفاتحين من بعده بفتح الأندلس، التي كانت تبدو أكثر أهمية من بلاد السودان. بالإضافة إلى المخاطر التي كانت تواجه الفاتحين الأوائل من القبائل البربرية الوثنيين، و كذا هجمات الأسطول البيزنطي على سواحل قرطاجة، و على بعض الثغور البحرية في سواحل المتوسط.

ومهما يكن من أمر، فإن الفتح الإسلامي في بلاد السودان لم يتوقف عند ذلك الحد، بل أننا وجدنا إشارات مهمة في المصادر العربية، تتحدث عن استمرار عملية الفتح في عهد الأمويين، حيث يكون عبد الله بن الحباب، قد بعث مشروع فتح السودان من جديد، ففي سنة 116هـ، أرسل حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري غازيا إلى السوس الأقصى، ولم يقابله أحد إلا ظهر عليه، ولم يترك قبيلة إلا و فتحها و سباها. و يرجح البكري أن يكون هذا الجيش الذي أرسله الأمويون، قد دخل مملكة غانة لنشر الإسلام، ثم استقر بعضهم هناك، و خلفوا ذرية كونت ما يعرف في و يرجح البكري أن يكون هذا الجيش الذي أرسله الأمويون، قد دخل مملكة غانة لنشر عهده (خلال القرن الخامس للهجرة) قوم يعرفون بـ(الهنهين)، و الذين يقول عنهم بأنهم وثنيون علي دين أهل غانة، ولا يتزوجون مع السود. و على كل حال فإننا نرجح أن يكونوا مسلمين، لكنهم يخفون إسلامهم، على عادة بعض ملوك السودان آنذاك. ذلك أن الإسلام كان ما يزال في بداية عهده.

كما يحمل إلينا البكري، إشارات أخرى حول حملات الأمويين لفتح بلاد السودان، من خلال ذكره للأبار الموجودة في المجابة الكبرى للصحراء الواقعة جنوب درعه، و التي يقول عنها بأن الجيش الذي أرسله بنو أمية لفتح السودان هو الذي حفره² و رغم ذلك كله، فإن تلك الفتوحات التي بدأت منذ صدر الإسلام، و رغم قدمها، إلا أن دورها بقي بطيئا في نشر الإسلام، ذلك أن أكبر فترة لانتشار الإسلام في المنطقة، كانت خلال عهد المرابطين.

ب. دور المرابطين :

لا شك أن دور التجار المسلمين، قد ساهم بقسط و فير في نشر الدعوة الإسلامية في بلاد السودان الغربي، منذ صدر الإسلام و مجيء أولى القوافل الإسلامية إلى المنطقة. كما أن الفتوحات الإسلامية الأولى في عهد عقبة بن نافع، التي وصلت إلى مشارف الصحراء، و توغل الأمويين بالدين الجديد إلى قلب هذه الصحراء، كان ذا أهمية بالغة أيضا. إلا أن السودان لم يدخل بعد في التاريخ الإسلامي، بالمعنى الذي يؤثر في الحياة العقديّة، التي كانت إلى غاية القرن الرابع للهجرة، تسيطر عليها الكثير من المعتقدات البدائية، من عبادة الأرواح و الأجداد المعروفة في إفريقيا السوداء.

كما أن المنطقة بقيت رغم وصول الإسلام إليها، تحتفظ بآثار الديانات السماوية الأخرى التي عرفها السودان الغربي قبل مجيء الإسلام. حيث توجد هناك فرضيات بوجود المسيحية واليهودية في بلاد السودان قبل الإسلام، انتقلت من شمال إفريقيا عبر التجارة كذلك، لكننا لا نملك دلائل قوية على ذلك.

لكن هناك إشارات وفيرة في المصادر العربية، تبين أنه منذ القرن الرابع للهجرة كان الإسلام قد توغل إلى المدن السودانية، و لم يتأخر في التأثير على الأقل في زعماء القبائل السودانية و ممالكها، على غرار غانة و مالي و الكانم بورنو، لكن دون أن يكون قد توغل داخل بقية الشعوب الريفية، التي بقيت مخلصه لدياناتها ومعتقداتها الوثنية، على غرار شعوب الموسي والبامبارا و غيرها.

إذا فالإسلام، بقي ديانة المدن والتجمعات الحضرية، كما بقي إسلاما سطحيا، و لم يتوغل جيدا في الحياة اليومية لسكان الصحراء والسودان. إن هذا الوضع تطلب فتحا جديدا للإسلام، أي فتحا حقيقيا يكمل ما كان قد بدأه التجار والفاثون الأوائل. و يعمل على غرس العقيدة الإسلامية في بلاد السودان، و يخلصها من الشوائب التي بقيت عالقة بها، و إخراجها من الديانات الوثنية، وحتى السماوية كالنصرانية و اليهودية، و بالتالي ربط بلاد السودان بالعالم الإسلامي.

إن هذا الدور العظيم، يتطلب رجالا ذوي عقيدة متينة، و دولة قوية، و هو ما يتوفر في المرابطين، الذين تعد دولتهم أول قوة وحدت المغربين الأقصى و الأوسط، و لعبت دورا كبيرا في نشر الإسلام في الساحل الإفريقي الغربي و بلاد السودان.

و رغم أن دولة الأدارسة التي سبقتهم، قامت بدور مهم في نشر الإسلام في الصحراء الكبرى، و وصلت إلى سواحلها الجنوبية، مستكملة عملية الفتح. حيث ضمت قبائل الصحراء البربرية تحت لوائها، و وحدتها تحت راية الإسلام، إذ بايعت قبيلة (أوربة) البربرية مؤسس دولة الأدارسة (إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب)، المعروف بإدريس الأول و ذلك عام 172هـ / 788م، و تبعته بعض القبائل الأخرى، مثل صنهاجة و هوارة و زناتة.

كما أخذ أبو خالد بن يزيد البيعة لإدريس الثاني من القبائل البربرية، و خاضا حروبا كثيرة مع بربر المغرب الأقصى، و استطاع أن يمد نفوذه و سلطانه إلى بلاد المصامدة، و أن يستولي على نفيس و أغمات سنة 197هـ / 812م. و بالتالي تمكن من نشر الإسلام بين هذه الشعوب التي كانت ما تزال على دين النصارى و اليهود.

إن خضوع البربر لطاعة إدريس الثاني، و توحيدهم تحت سلطانه، زاد في تحول قبائل صنهاجة كذلك إلى الإسلام، الذي كان قد بدأ في عهد عقبة بن نافع، و ازداد في عهد الأدارسة، و انتشر بين بربر الصحراء المعروفين بالملتزمين في القرن الثالث للهجرة/التاسع

للميلاد، وكان لإسلامهم أثر بالغ في تاريخ المغرب و بلاد السودان. إن إسلام الملتئمين تمخض عنه قيام حلف قوي ضم القبائل البربرية بزعامة لمتونه، و أخذوا على عاتقهم مهمة نشر الإسلام نحو الجنوب، في الصحراء و بلاد السودان، مدفوعين في ذلك بحماسهم للجهاد، وحادثة عهدهم بالإسلام، و فلسنتهم القائمة على التشدد في أمور الدين، واحتقارهم حياة الدنيا و العزوف عن ملذاتها. كما ساعدهم على ذلك الضعف الذي بدأ يتسرب إلى مملكة غانة، خلال هذه الفترة، و إغارة أعدائها عليها.

إن ابن خلدون يؤكد هذا الرأي بقوله: «أن أهل غانة ضعف ملكهم وتلاشى أمرهم، واستفحل أمر الملتئمين المجاورين لهم من جانب الشمال، مما يلي البربر كما ذكرنا، وعبروا على السودان(كذا)، واستباحوا حماهم، واقتضوا منهم الأتوات والجزى(كذا)، وحملوا كثيرا منهم على الإسلام فدانوا به».

وكانت بداية سير الملتئمين إلى بلاد السودان عام 433هـ/1042م، على رأس قوة عظيمة باتجاه مملكة مالي، التي كان على عرشها (سوندياتا)، و كان يتزعم الملتئمين يحيى بن إبراهيم من قبلية جدالة، و هي إحدى قبائل صنهاجة، والتي خلفت لمتونه في قيادة الملتئمين. و كان يحيى بن إبراهيم شيخا تقيا ورعا، يدعو إلى الحق و يحارب المظالم ، و هو من أهل السنة ، متمسك بمذهب مالك بن انس.

و كان برفقته فقيه من قبيلة جزولة ،يدعى عبد الله بن ياسين الجازولي، الذي استقبلته قبائل جدالة و لمتونة و بالغوا في إكرامه. و كان يعلمهم القرآن، و يلقنهم أصول الدين، و آداب الشرع. كما أخذ بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و يصلح الكثير من أخلاقهم الفاسدة التي ألفوها. إلا أنه لم يلق نجاحا كبيرا في دعوته، و كان ذلك نتيجة النزاع القبلي القائم بين القبائل الصحراوية، و طبيعتهم البدوية.

ولما رأى عبد الله بن ياسين إعراض الناس عن دعوته، وإتباعهم لأهوائهم، عزم على الرحيل عنهم إلى بلاد السودان، التي كان أهلها قد دخلوا الإسلام في ذلك الوقت. إذ كانت أودغست، تحت سيطرة ملك مسلم من صنهاجة ، الذي كان بدوره يسيطر على حوالي عشرين أميرا مسلما من السودان³ لكن يحيى بن إبراهيم لم يتركه وقال له: "إنما أتيت لأنتفع بعلمك في خاصة نفسي، و ما علي فيمن ضل في قومي." ذلك أن قومه لم يكن عندهم من الإسلام إلا الشهادة دون سواها من أركان الإسلام ثم ، قال يحيى بن إبراهيم لعبد الله بن ياسين: هل لك في رأي أشير به عليك إن كنت تريد الآخرة ؟ قال و ما هو ؟ قال ها هنا جزيرة في البحر، و فيها الحلال المحض من شجر البرية وصيد البر والبحر ندخل فيها ونقتات من حلالها، و نعبد الله تعالى حتى نموت. فقال عبد الله بن ياسين إن هذا الرأي حسن، فهل بنا (كذا) فندخلها على اسم الله».

وهكذا توجه عبد الله بن ياسين إلى جزيرة عند مصب نهر السنغال، و بنا بهارباطا⁷ وانتقل معه عدد من أتباعه المخلصين كان عددهم في البداية سبعين،⁸ ثم بدأ يلتحق به الأتباع، يعبدون الله واعتزلوا بدينهم، و كان عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن، وستميلهم إلى الخير، ويرغبهم في ثواب الله، و يحذرهم من ألم عقابه. حتى انتشر أمره بين الناس، واجتمع لديه نحو ألف رجل خلال ثلاثة أشهر من الاعتكاف والعبادة، وهم من أشرف صنهاجة، سماهم المرابطين للزومهم رابطتهم.

بدأ عبد الله بن ياسين بدعوة المرابطين إلى الجهاد في سبيل الله، و كان غرضه في ذلك فتح بلاد السودان، و نشر الإسلام في ربوعه، و ثانيا نشر مذهب الإمام مالك في المغرب، بعدما كان قد استقل أمر الشيعة مع الأدارسة والفاطميين، و من قبلهم الخوارج فقام بن ياسين بالخروج إلى الصحراء، على رأس قوة عظيمة، قاصدا سجلماسة بعد أن ذاع صيته وصيت أصحابه المرابطين، واستدعاه فقهاء سجلماسة وكتبوا إليه و إلى يحيى بن عمر، وإلى أشياخ المرابطين كتابا، يرغبون إليهم الوصول إلى بلادهم ليظهروها مما هي عليه من المنكرات.

فخرج إليهم عبد الله بن ياسين عام 447هـ/1055م، و دخلها، و قتل من وجده، ففتح مغراوة وأقام بها حتى أصلح شأنها، ثم ارتحل إلى بلاد المصامدة ففتح جبل درن، ومدينة شفشواة بالقوة عام 450هـ/1058م، ثم فتح مدينة نفيس و سائر كدميوة، وأخذت القبائل تتوافد عليه للمبايعة، ثم ارتحل إلى أغمات و فتحها.

لكن أكبر انتصار حققه المرابطون على بلاد السودان و إمبراطورية غانة خاصة، هو الاستيلاء على أودغست التي كانت خاضعة لسلطان إمبراطور غانة، رغم أن ملكها كان مسلما. و كان ذلك عام 446هـ/1054م، حيث انتزعها عبد الله بن ياسين من إمبراطورية غانة، واستباح حريمها، و جعل جميع ما أصاب فيها فيئا، حيث قتل فيها عبد الله بن ياسين رجلا من العرب المولدين من أهل القيروان، معلوما بالورع والصلاح و تلاوة القرآن و حج البيت، يسمى (زباقرة) و كان سبب نقمة المرابطين على أهل أودغست رغم كونهم مسلمين، هو طاعتهم لصاحب غانة و حكمه.

و بدخول المرابطين أودغست، وضعوا أرجلهم على أهم ممالك السودان، و على أهم محطة تجارية ذات حيوية اقتصادية و تجمع سكاني هام. كما أصبح المرابطون متمركزين على بعد ثلاثة أيام فقط من العاصمة الغانية كومبي.

لكن عبد الله بن ياسين قتل ببورغواطة سنة 451هـ/1059م، بموضع يسمى (كريفلت)، بعدما كان قد استولى على سجلماسة و أعمالها بالسوس كله، و أغمات و نول والصحراء. إن الفتح الإسلامي في بلاد السودان لم يتوقف بوفاة بن ياسين، بل أن هذا الأخير ترك عددا كبيرا من الأتباع والمخلصين لنهجه، والذين واصلوا عملية الجهاد والفتح، و منهم يحيى بن

عمر، الذي يعد من أشد الناس انقيادا لعبد الله بن ياسين، وامثالاً لما يأمره به، وأقرب المقربين إليه. كما يعد أيضا من أشد قاداته الفاتحين، والذي خلفه بعد مقتله. ومنهم كذلك أخوه أبي بكر بن عمر الذي جاء من بعده، فواصل الأخوان الفتح في بلاد السودان، حيث فتحا كومبي، عاصمة غانة عام 469هـ/1076م، وأسلم على أيديهما قسم كبير من سكانها، ودفع الوثنيون منهم الجزية، ومنذ ذلك الوقت أخذ الإسلام في الانتشار بين القبائل الإفريقية. كما ساهمت بعد ذلك القبائل السودانية، من مانديغ و تكرر و سراكولي، في نشر الدعوة الإسلامية بين شعوبهم، بعدما أسلموا على أيدي المرابطين والتجار المسلمين.

د- دور ملوك السودان :

إن انتشار الإسلام في المدن السودانية و المناطق الحضرية، واعتناق ملوك السودان للإسلام، جعل الإسلام يتوغل إلى المناطق التي كانت ما تزال تدين بالوثنية، أو التي بقي إسلامها سطحيا، حيث تحول هؤلاء الملوك و الأمراء السودانيون، إلى دعاة لهذا الدين بين صفوف شعوبهم، مستغلين مكانتهم الاجتماعية والسياسية، وكذا الاحترام والتبجيل الذي يكنه لهم شعوبهم.

كما أن اعتناق ملوك السودان للإسلام، أعطى لهم دورا مهما بين شعوبهم، حيث منحهم الفرصة للحصول على الشرعية الدينية التي كانوا يفتقدونها قبل ذلك، أمام تعدد المعتقدات البدائية، التي كانت تقتصر على الطقوس، و خالية من أي بعد سياسي أو حضاري.

صحيح أن أهل السودان اعتنقوا الإسلام لأنه يتلاءم مع طبيعتهم البسيطة، و روحهم المتقشفة، ذات المتطلبات المتواضعة، و تعطشهم إلى عبادة حقيقية يبتهلون فيها إلى إله واحد يعبد في كل مكان، في العراء، و في المساجد، خالية من الطقوس المعقدة، والفلسفات والرموز التي كانت تحملها الوثنية. لكن في نفس الوقت كان في اعتناق عدد من الشعوب السودانية الإسلام مصلحة سياسية، على اعتبار انه أصبح يشكل نوعا من الوطنية، و عام ع الوطنية، و عاملا موحدا للإمبراطورية السودانية و حاميا لها من الشعوب الوثنية المحيطة بها، بل اعتبر من طرف ملوك السودان نوعا من الرباط الذي يصلهم بالعالم الإسلامي.

لهذا نجد حرص ملوك السودان، على الاهتمام بأداء فريضة الحج و إحاطتها بكثير من الإشهار والفخر، كما سيأتي ذكره. كما نجدهم يبذلون جهودا لا يمكن نكرانها، في حمل راية الإسلام و نشره. فلقد لعب ملوك غانة دورا كبيرا في هذا الشأن، منذ وصول الإسلام إلى حدود مملكتهم، بل كانوا أول من أسلم من سكانها.

يشير البكري، إلى أن ملك التكرور الذي عاصره، و هو (لبي بن وارجابي)، شارك مع المرابطين في فتوحاتهم الإسلامية، حيث كان مع جيش يحي بن عمر خلال محاصرة جيوش بني جدالة له، في موقع يسمى (تيفريلي) الواقع بين تاليوين وجبل لمتونه في الصحراء، وهو الموقع الذي قتل فيه يحي بن عمر، و معه بشر كثير، و كان ذلك عام 448هـ/1056م.

لكن يبدو من خلال المصادر العربية، أن ملوك السودان اعتنقوا الإسلام قبل هذا التاريخ بكثير، بل قبل ظهور المرابطين، حيث يذكر ابن خلدون بأن أول من أسلم من الملوك الغانيين هو ملك يسمى (برمندانة)، و هو الذي نقل سنن الحج للملوك الآخرين الذين خلفوه، إذ أنه يذكر أن هناك ملوكا جاؤوا من بعده، أمثال (ساكورة) أو (سبكرة) الذي حج أيام الخليفة الفاطمي المنصور.

ومن الملوك الذين وطدوا دعائم الإسلام بن شعوبهم، نجد ملك التكرور (وارجابي) أو (وارديابي) بن رابيس، الذي يعد مؤسس إمارة التكرور، و الذي في عهده دخل الإسلام إلى هذه الإمارة، حوالي القرن 5هـ/11م، و كان أهلها قبل ذلك وثنيين ومجوسا وعبدة الدكاكير، حتى جاء وارجابي بن رابيس، فأسلم وأقام عندهم شرائع الإسلام، وحملهم عليها، و حقق بصائرهم فيها، إلى غاية وفاته عام 432هـ/1040م.

و يبدو أن إسلام التكرور، كان بفعل الصلات التجارية الوثيقة، بينها و بين إباضية جبل نفوسة، حيث سمحت هذه الاتصالات بوجود جالية تجارية إباضية في بلاد التكرور، كان لها الفضل الكبير في إسلام الملك وارجابي.

وهنا يجب التأكيد على أن نمو و اتساع مراكز المسلمين، و النشاطات التجارية لهم في بلاد السودان الغربي، يرجع بشكل أساسي إلى العلاقات الطيبة التي نشأت بين التجار المسلمين والطبقة الحاكمة في السودان الغربي، الذين أدركوا الفائدة الاقتصادية القصوى التي يمكن الحصول عليها من تواجد أولئك التجار هناك.

وتوثيقا للعلاقة الودية هذه، فإن الحكام السودانيين، كملك غانة، كانوا قد عينوا بعض التجار المسلمين في بعض المناصب الإدارية العليا في بلاطهم. وكان لإسلام ملك التكرور وارجابي، دور في إسلام أهل مدينة (سلى)، إذا يقول عنها البكري: «وتسير من مدينة سلى، و هي مدينتان على شاطئ النيل أيضا، وأهلها مسلمون أسلموا على يد وارجابي رحمه الله ... و ملك سلى يحارب كفارهم، و ليس بينه و بين أولهم إلا مسيرة يوم واحد».

من خلال كلام البكري، نكتشف أن الملك التكروري وإرجابي، قد ساهم بقدر وفير في نشر الإسلام، ليس بين قومه فحسب، بل حتى بين الملوك المجاورين، الذين أصبحوا هم بدورهم يمارسون عمليات الفتح، عن طريق الجهاد ضد القبائل الوثنية. لكن رغم ذلك، فإن دور الملوك المسلمين الآخرين في إمبراطورية غانة بقي محتشما خلال هذه الفترة، نظرا لبقاء السلطة المركزية في غانة، التي يخضع لها أولئك الملوك، و التي ما يزال ملوكها وثنيين، رغم درجة التسامح الديني و حرية الاعتقاد التي كان يوفرها ملك غانة. حيث يذكر أبو عبيد الله البكري أيضا، أن مدينة غانة العاصمة، كانت خلال النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة/11م في عهد الملك (تنكامين)، تحتوي على مدينتين، مدينة للمسلمين تضم

اثني عشر مسجداً، أحدها يتجمعون فيه، ولها أئمة ومؤذنون و راتبون، و فيها الفقهاء وحملة العلم، و مدينة أخرى للملك تنكامين، الذي رغم أنه لم يكن مسلماً، إلا أنه أقام بمدينة مسجداً يصلي فيه من يفد إليه من المسلمين، على مقربة من مجلس حكم الملك. كما اتخذ الملك مترجمين من المسلمين، و جعل منهم الوزراء و صاحب بيت ماله. و إن دل هذا على درجة التسامح الديني، الذي تميز به الملك تنكامين، و حتى أبوه من قبله، فإنه يدل كذلك على المكانة التي أصبح يحظى بها الإسلام والمسلمون عند ملوك السودان، وثقتهم فيهم، وفي حسن أخلاقهم وسيرتهم، إلى درجة أنه كان يسمح للمسلمين، بتحية الملك بالتصفيق باليدين، خلافاً لغيرهم من الوثنيين، الذين كان يفرض عليهم السجود، و الجثو على ركبهم، ونثر التراب على رؤوسهم، عند تحية الملك.

وإذا كان الحال كذلك في مدينة غانة، حيث سهل ملوكها عملية انتشار الإسلام، بفضل تسامحهم وتقديرهم للمسلمين رغم وثنيتهم، فإن الأمر في بعض المدن الغانية الأخرى كان يختلف، و بقي دور الملوك ضعيفاً رغم كونهم مسلمين، و ذلك بسبب حداثة انتقال الإسلام إليها، و عدم توغله بعد داخل تلك المجتمعات، إلى درجة أن ملوكهم، كانوا يخفون إسلامهم عن شعبهم، مثلما هو الحال في مدينة (الوكن) التي أسلم ملكها (فنمر بن بسي)، لكنه بقي يخفي إسلامه عن قومه، و كذلك الشأن بالنسبة لملك (سمغارة) أو (بغامة)، و هي إحدى الممالك التابعة لغانة. فالملك (فنمر بن بسي)، كان أول من اعتنق الإسلام في عائلته الملكية، فأبوه (بسي) كان وثنياً.

إن هذا الكلام ينطبق كذلك حتى على بعض سكان غانة، حيث وجدت هناك أقوام مسلمة تخفي إسلامها، مثلما يشير إليه البكري عن قوم من سكان غانة يسمون بـ (الهنهين)، الذين دخلوا غانة مع حملات الفتح الأولى التي أرسلها بنو أمية في عهد عبد الله بن الحباب، و التي قادها حبيب بن أبي عبيده بن عقبة بن نافع الفهري، والذي بلغ أرض السودان. والذين استقروا في مدينة غانة، و خلفوا ذرية أصبحت على دين أهل غانة من الوثنية، لكنهم لا يترأجون مع السود كما أشرنا.

فمن المرجح أن هؤلاء القوم، كانوا يخفون إسلامهم، و يتظاهرون بالوثنية مستعملين التقية، التي كانت شائعة في ذلك الوقت عند الشيعة، من الأدراسة والفاطميين، و حتى الموحدين. فلا يعقل أن يرتد هؤلاء، في وقت بدأ الإسلام ينتشر في هذه البلاد، وهم الذين جاؤوا إلى أرض السودان فاتحين، و حاملين راية الإسلام، متحدين قساوة الصحراء وطالبيين الشهادة في سبيل نشر هذا الدين. و بالتالي فإن الأسباب التي جعلتهم يخفون إسلامهم، ربما هي نفس الأسباب التي جعلت بعض ملوك السودان الذين ذكرناهم يخفون إسلامهم.

ومهما يكن من أمر، فإن حالة التسامح الديني التي ميزت ملوك غانة رغم وثنيتهم، قد ساهمت كثيراً في نشر الإسلام بين أهل السودان، بل حتى بين ملوكهم الوثنيين، حيث سمح ذلك الوضع للعلماء والفقهاء المسلمين، بالتقرب من أولئك الملوك لدعوتهم إلى الإسلام، مثلما

حدث مع ملك قبيلة (ملل)، الذي يعرف بـ (المسلماني)، الذي أجدبت بلاده عامًا، و رغم تقديمه للقرابين من البقر طلبًا للغيث، إلا أن أرضهم ازدادت قحطًا، وكان عنده ضيف من المسلمين يقرأ القرآن، و يعلم السنة، فشكا إليه الملك مصابهم، فاقترح عليه العالم الإيمان بالله، و إقرار وحدانيته و بمحمد عليه الصلاة والسلام، ورسالته، و الاعتقاد بشرائع الإسلام، مقابل أن يدعو له الله لفك كربته. و بقي يحثه على ذلك، إلى أن أسلم هذا الملك، وأخلص نيته، و أقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه، و علمه الفرائض والسنن، وأمره بالتطهر، و صليا ليلة الجمعة، و دعوا لله. ولم يحل الصباح حتى أنعم الله عليهم بالغيث، فأمر الملك بكسر الدكاكير، و إخراج السحرة من بلاده، و صح إسلامه، وأسلم عقبه، و خاصته، و أهل مملكته المشركون، فسموا ملوكهم منذ ذلك الوقت بالمسلماني.

و مهما تكن المبالغة التي تحملها هذه الرواية، فإننا نستخلص منها، أن ملوك غانة، قد اعتنقوا الإسلام نتيجة العلاقات التي كانت تربطهم بالتجار، والفقهاء المغاربة المسلمين. وحملوا بدورهم راية نشر الإسلام بين قومهم، بينما بقي ملوك العاصمة الغانية رافضين دخول الإسلام، رغم تسامحهم مع المسلمين، و تقديرهم لهم و لعلمائهم، والذي كان عاملا أساسيا في انتشار الإسلام. وفي الحقيقة هناك من يشير إلى أن سبب رفض ملوك غانة دخول الإسلام هو خوفهم على نفوذهم في المنطقة، والتصدي لنفوذ التجار البربر المسلمين الذي أصبح دورهم يتنامى.

لكننا نرى بأن الجزم بهذا السبب الاقتصادي يعد أمرا مبالغا فيه، وذلك لعدة اعتبارات، أولها أن التجار المسلمين كانوا يتمتعون بنفوذ تجاري منذ مدة طويلة، و لم يهدد نفوذ الملوك الغانيين، كما أننا نرى على العكس من ذلك، بأن التجار المسلمين هم الذين ساهموا في نمو ثروات ملوك غانة، و أعطوا للذهب الغاني تلك القيمة المادية التي صنعت منهم أثرياء. بالإضافة إلى هذا، فإننا نجد في هذا الكلام تناقضا كبيرا، وهو كيف لملوك يخافون من التجار المسلمين، يعاملونهم بذلك الاحترام والتقدير، ويقربونهم إليهم، بل ويأتمنونهم على خزائهم وأموالهم.

كما ساهم ملوك مالي، بدور لا يستهان به في نشر الإسلام بين شعوب السودان، و كان ذلك حتى قبل وصول الملك سوندياتا إلى الحكم. و كانت قرية (منفارة)، هي أول قرية للماندينغ تعتنق الإسلام، في وقت لم تكن أية قرية ماندية غيرها قد أسلمت بعد. وقد تأثر سكان هذه القرية بقبائل (المالينك) السودانية، الذين اعتنقوا الإسلام قبلهم، فأعجب بهم وهم يصلون و يصومون. كما تأثروا ببعض أفراد (السوننكي) الذين يعيشون بينهم.

وإذا كان أول مسجد بني عند الماندينغ كان في قرية منفارة، فإن أول من دخل الإسلام من ملوكهم كان أيضا قبل عهد سوندياتا، حيث يذكر بأنه وجد ملك واحد كان قد أسلم وهو (نياني مانسا مامورو *Niani Mansa Mamourou*)، لكنه كان يخفي إسلامه، و كان يؤدي صلاته داخل بيوته المغلقة، و يدعي أمام قومه بأنه كان يأخذ حمامه داخل أوعية مقدسة

داخل تلك البيوت.³ و عموما فإن انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي، كان في أغلبه سلميا، كما أن التأثير الإسلامي في المنطقة كان بطيئا وتدرجيا، إلى غاية القرن الثامن للهجرة / 14م، و في فترة حكم (منسا موسى) أو (موسى كاكان)، إمبراطور مالي، حيث يشير العمري، إلى أن أكبر فترة لانتشار الإسلام في غرب إفريقيا، تعود إلى عهد منسا موسى⁴ فقد بلغ انتشار الإسلام في عصره، امتدادا كبيرا في المنطقة، إلى درجة أن ابن سعيد المغربي الذي عاصره يقول: «و أما في عصرنا فما على شاطئ النيل في بلاد التكرور مدينة، إلا و قد دخلها الإسلام، و جميعها لسلطان التكرور».

إن وصول منسا موسى إلى الحكم، أعطى للإسلام دفعا قويا للتوغل داخل السودان إذا تحولت إمبراطورية مالي في عهده إلى إمبراطورية إسلامية بأسلمته للسلطة المركزية، وارتبطت في عهده بلاد السودان الغربي بالعالم الإسلامي. كما قام بعدة أعمال بغرض توطيد دعائم الإسلام في كامل الإمبراطورية. فالمصادر العربية تتحدث كثيرا عن منسا موسى، و تقواه، و عبادته، و خاصة عن قصة خروجه إلى الحج المشهورة، و بنائه للمساجد، و إنفاقه العظيم في سبيل ذلك، حيث يذكر عبد الرحمان السعدي في هذا الشأن: « هو صالح عادل، لم يكن فيهم مثله في الصلاح والعدل، قد حج بيت الله الحرام ... و دخل أهل سغي في طاعته بعد جوازه إلى الحج، و بطريقه رجع فابتنى مسجدا، و محرابا خارج مدينة كاغ، صلى فيها الجمعة ... و قيل أن السلطان ككن موسى هو الذي بنا صومعة الجامع الكبير».

و يقول عنه محمود كعت: « كان الملك موسى كاكان، سلطانا صالحا تقيا عابدا... كان يعتقد كل يوم نفسا، و حج إلى بيت الله الحرام و بنا بحجه مساجد كل من تنبكتو، و دوكر، و خندم، و ديرى».

إن هذه الصفات التي نقلتها لنا المصادر العربية، تبين درجة توغل الإسلام عند ملوك مالي عموما، و عند موسى كاكان بالذات، الذي كثيرا ما يذكره المؤرخون بلقب الحاج، نظرا للأهمية التي كان يوليها لفريضة الحج، حيث كان يحمل معه كمية هائلة من الذهب إلى الحج للتصدق بها في طريقه، إلى درجة أن الذهب فقد قيمته لعدة سنوات بالقاهرة، بعد مرور منسا موسى بها في طريقه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج. كما حمل معه لدى خروجه إلى الحج بالإضافة إلى الأموال الجسيمة، قوة عظيمة من جيش عرمرم، مكون من ثمانية آلاف جندي، و خمسمائة من النساء، و ثمانية آلاف و سبعمائة من العبيد.

ولقد ذكر صاحب تاريخ الفتاش، أن سبب اهتمامه بالحج و إنفاقه الشديد عليه، إنما هو تكفير لذنب كان قد اقترفه، بعدما قتل أمه بطريق الخطأ، و لما أسف و ندم لذلك، و خاف عقوبة ذلك، و تصدق بمال جسيم، و عزم على صوم الدهر، فنصحها الفقهاء والعلماء بأن يزور قبر الرسول صلى الله عليه و سلم، و يتوب عنده.

ان هذا الكلام عن حرص موسى كاكان على تكفير ذنبه، والندم الذي أصابه، والأموال التي صرفها والمشاق التي تكبدها، إنما تدل على درجة الإيمان الذي كان يتمتع به هذا الملك، فأسلامه لم يكن سطحيا، كما كان لدى سابقه من أهل السودان وملوكهم.

إن درجة إجلال موسى كاكان للإسلام، جعلته يتحول إلى داعية لهذا الدين وتشره في بلاد السودان، ليكمل ما بدأه السابقون. حيث أنه حرص على اصطحاب معه من الحج، اثنين أو ثلاثة من شرفاء مكة، و عند عودته ذهب بهم إلى قومه ليتبركوا برؤيتهم، و تنال أرضه بركة أقدامهم. و دفع لأجل ذلك ألف مثقال من الذهب لكل واحد منهم، فتبعوه بأهاليهم راحلين إلى بلده.

و لم يكتف بذلك، بل أنه أرسل بعثات طلابية من مالي إلى مدينة فاس لتلقي العلوم الإسلامية، و نشرها في بلده، حيث تخرج من مدارس فاس علماء، و فقهاء وأئمة سودانيون، والذين تولوا إمامه (مسجد سنكري) بتمبكتو بعد ذلك، آخرهم كان الشيخ كاتب موسى، وهو قاض و فقيه، مكث في إمامة المسجد المذكور أربعين سنة.

كما اهتم بنشر تعاليم الإسلام في مملكته، من خلال تأسيسه لمدرسة قرآنية إجبارية لفائدة الأطفال بالعاصمة المالية. ذلك أن ابن بطوطة خلال زيارته لمالي عام 735هـ /1325م، لاحظ يوم العيد، أولاد القاضي مقيدين بالحديد، لأنهم لم يحفظوا آية قرآنية. كما رأى شابا آخر، حسن الصورة، عليه ثياب فاخرة و في رجليه قيد ثقيل، بسبب عدم حفظه للقرآن كذلك. لكن لا بد أن نشير إلى أن هذا الملك، رغم حرصه على نشر تعاليم الإسلام وصرامته في تعليم القرآن، إلا أنه كان متسامحا وحررا في تعامله مع الوثنيين والكفار، فحافظ على احترام معتقدات شعبه من غير المسلمين، ولم يدخل معهم في صراعات دينية.

لقد ساهم موسى كاكان بقسط عظيم في توطيد دعائم الإسلام داخل المجتمع السوداني، إلى درجة أن كثيرا من مظاهر التدين أصبحت بارزة داخل هذا المجتمع، لم تكن موجودة حتى في بعض الدول الإسلامية التي سبقتها بعدة قرون في اعتناق الإسلام. حيث لم يعد أحد من السودان يتعرض لأموال البيضان عندما يموت أحدهم ببلادهم، حتى يأخذه مستحقوه، كما أصبح الناس يواظبون على الصلوات، و يلتزمون بها في الجماعات، بل أصبحوا يضربون أولادهم عليها. و إذا كان يوم الجمعة و لم يبكر الإنسان إلى المسجد، لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام. إلى درجة أن سكان مالي، كانوا يبعثون غلمانهم بسجاداتهم، ليبسطوها لهم بموضع في المسجد، حتى يضمّنوا أماكن لهم.

ومن الملوك السودانيين الذين ساهموا في نشر الإسلام أيضا، نجد ملك مدينة جني الذي دخل الإسلام في نهاية القرن السادس للهجرة/ بداية ق 13م، وإسمه (كنبر) الذي دخل الإسلام بعدما حشر جميع علماء أرض مدينته (حسب تعبير السعدي)، فجمع عنده أربعة

آلاف ومائتا عالم ، فأسلم على أيديهم، وأسلم باقي أهل المدينة بإسلامه. وأول ما قام به بعد إسلامه، هو تخريب دار السلطنة وحولها إلى مسجد الله تعالى.

كما ساهم ملوك مملكة سنغاي في نشر الإسلام نحو الشرق باتجاه نهر النيجر، حيث دخل ملوكهم الإسلام، قبل تعرضهم للغزو من طرف إمبراطورية مالي خلال القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، إذا اعتنقوا الإسلام منذ أن استقروا في منطقة كوكيا. لكن أغلبية شعبهم بقي وثنيا إلى غاية القرن لتاسع للهجرة/15م حيث انتشر الإسلام في كامل ربوع المملكة.

وكان أول ملك من السنغاي يعتنق الإسلام هو (ديازا كوسي)، الذي أبقى مدينة كوكيا عاصمة تقليدية له، وكان يستقبل فيها سرا وبصفة خاصة واستثنائية، أشخاصا مؤمنين من مدينة جاو، بينما بقيت التقاليد الوثنية حاضرة في عهده.

إن شهادة البكري، تؤكد انتشار بعض العادات الوثنية خلال الفترة التي كتب فيها عن سنغاي، وذلك عام 460هـ/1067م، أين كان يحكمها ملك مسلم يدعي (فندا)، وكانت المدينة مقسمة إلى مدينتين على طريقة مدينة غانة، وهي مدينة للمسلمين وأخرى للكفار، أين كانت تنتشر عبادة الدكاكير، وضرب الطبول على جلوس ملكهم، ورقص نسائهم بالشعور المسترسلة.

لكن ما إن حل القرن التاسع للهجرة، حتى كانت الدعوة التي قام بها ملوكهم قد أعطت ثمارها، وعم الإسلام في جميع ربوع المملكة.

أما ملوك الكانم بورنو، فقد كان دورهم جد مؤثر في نشر الإسلام في السودان الأوسط. إذ لم يكتفوا بالدعوة للإسلام ونشره بين شعوبهم، الذين كانت تغلب عليهم المسيحية، والبعض الآخر المجوسية و الوثنية، بل حرصوا على التطبيق الصارم لتعاليم الإسلام داخل مملكتهم.

لقد كانت مملكة الكانم خلال العصور الوسطى، تمثل بحق المملكة المطورة لبلاد السودان الأوسط، مثلما كان الحال بالنسبة لمالي في السودان الغربي. إذ شكلت مركزا لحضارة سودانية، تحمل الكثير من معالم الحضارة الإسلامية، لكن ذات خصوصيات سودانية.

فخلال القرن الخامس للهجرة/11م، الذي يعد القرن الذي بدأ فيه الإسلام ينتشر في كثير من الشعوب الإفريقية، مع حركة المرابطين في السودان الغربي، كان الملك الكانمي (هوماي) قد اعتنق الإسلام، وهو الحدث الذي كان له أكبر أهمية بالنسبة لهذه المملكة وتاريخها. حيث قام هذا الملك بجلب عدة علماء مسلمين، كانوا يترجمون القرآن، و يعلمون الفقه و ينشرون الأفكار السياسية التي كانت موجودة في دول المغرب الإسلامي.

ومن خلال ابن سعيد المغربي، فقد «وجد في عاصمة الكانم نجيمي خلال القرن السابع للهجرة/13، سلطانا مشهورا بالجهاد وأفعال الخير، وأنه ينتسب إلى ذرية سيف بن ذي يزن

اليمني، وأن جده الرابع، هو أول من دخل الإسلام من هذه العائلة المالكة على يد فقهاء الإسلام، وقد أيده الله وكثر نسله وعساكره»، ويضيف أيضا: «وكان يستقبل الفقهاء ويبجلهم، كما أسلم على يده الكثير من البرابرة شرقي جبل "مقورس"، الموجود في حدود الفاصلة بين مملكة ومملكة كوكو، وكان يتخذ منهم العبيد والمجاهدين». فمن المرجح أن يكون هذا الملك، هو (عبد الجليل سليمان) الذي ذكرناه في الفصل الأول من هذا البحث، والذي يكون قد تزامن مع عصر ابن سعيد المغربي بين (617-655هـ) / (1221-1258م). وبهذا يكون الإسلام الذي انتشر في السودان الغربي والأوسط، قد أدخل المنطقة إلى نطاق حضاري إسلامي، و قرب أكثر منطقة السودان إلى بلاد المغرب، و ساهم في بناء علاقات حضارية أكثر انتعاشا، و أكثر تأثيرا.